الأديب العربي بين التراث والمعاصرة

بقلم
أحمد يوسف داود

موضوع البحث : الاديب العربي بيـــن التراث والمعاصرة فـــي معركة المصير
البـــلد : الجمهورية العربية السورية
الكـــاتب : احمد يوسف داوود
عنوان البحث : الاديب العربي بين التراث والمعاصرة .

ان الاثر الادبي رؤية للعصر من زاوية ما .. انه بالتالي موقف ، وجزء مـن سلوك تسلكه شخصية انسانية ، ذات تكوين فكري معين ، لم ينشأ تلقائيا ولا مصادفة ، بل يرتبط ارتباطا كليا بعملية الصـراع المذكورة آنفا ، ولعله يجدر بنا ان نتبين طبيعة الصراع وأطرافه فـي الحقبة الراهنة لنستطيع ان نحدد شرط المعاصرة وملامحها .

لقد قاد ازدياد حجم المعرفة الانسانية وتسارع نموها ، دون ان يرافق ذلك الاتساع الكافي في تعميمها على قطاعات المجتمع البشري المختلفة ، الى ذلك النمط من الانتاج الضخم المتمركز الذي قـــاد بدوره الى نشوء رأس المال الاحتكاري ، ورافق هذا اشكال جديـدة من الاستعباد أضيفت الى اشكال العبودية الاولى التي رافقت انماطا اخرى من الانتاج ، ولكـــن ما هو مهم في الاشكال الجديدة والنمط الجديد ، انما هو عموميـــة التأثير وشموله لكل جزئيات الحيـــاة الانسانية ودقائقها . ان الآثار الجديدة تتغلغل ، حادة وعنيفة فـــي اللقمة التي يتناولها الفرد كما في العاطفة التي يحس بها وكما فـــي الفكرة التي يعتنقهـــا دون ان يعفى من ذلك احد على وجه كرتنـــا الارضية . انه اطار القسر والاستـــلاب الامبريالي الذي لا يستثني احـــدا .

وهكذا فبعد ان كان الاستلاب موجها ضد قطاعات محددة فـــي مجتمعات محددة اصبح الآن موجها ضد شعوب بكاملها ، تعيش خارج الحصن الذي يقيم فيه رأس المال الاحتكاري ، وتشكل نسبة كبـــرى من سكان الارض .

ومع ان بعض الشعوب قد استطاعت التخلص من دائرة تأثيـره المباشر الا ان مجموعة هائلة من البشر ما تزال تعاني الآثار الدمويـــة لمواجهتها الحاسمة معه . ان هذه الشعوب هي التي تعرف اصطلاحـا باسم العالم الثالث ، او كما في التعبير المتأدب : الدول الناميـــة ، ذات الانتاج المتخلف الضعيف ، والتي تنهار باستمرار حدود التبـادل بينها وبين الدول المتقدمة لصالح الاخيرة كما يقـــول الاقتصاديون . الا ان هذا ليس كل شيء في الواقع ، فمجتمعات العالم الثـــالث ليست ذات بنية موحدة : ان ثمـة انقساما يحدد بشكل اوضـح مختلف اطراف الصراع الكبيرة وعناصره .

ان طبيعة الانتاج والتوزيع ، وحصر المعارف التقنية وغيرها من المظاهر الاخرى للعصر الامبريالي قد اوجد ودعم طبقات وفئات داخل المجتمعات المتخلفة تتعيش على هامش النظام الاقتصادي الامبريالـــي وتساهم مأجورة في تسهيل السيطرة على شعوبها واستنزافها . ذلك ان من أهم نتائج الاستعمار العسكري المباشر الذي سبق هذه المرحـلة في العالم الثـــالث ، انقطاع التطور الذاتي بفعل علاقات القسر ، وخلق بنى طبقية واشكال من الدول التابعة ، مهيأة لتكون مدينـــة باستمرار لرأس المال العالمي ،وبالتالي لتكـون الاطار المكمـل لعمليـة الاستغلال الامبريالي . وهكذا فان عبء الاستلاب يقع في النهاية عـلى كاهل طبقات الكادحين وفئاتهم ، في العالم الثالث اولا ، وفي داخل الحصون الامبريالية بشكل ما ثانيا ، وهؤلاء بالذات هم الذيـــن يمارسون مواجهتهم الدموية للامبرياليين من اجل هدم العالم القديم الظالم وبناء العالم الجديد الخيّر والعادل والانساني قبل كل شيء .

ان وطننا العربي لا يخرج عن هذه الدائرة ، وان كان يتميز ببعض الخصائص التي تجعل المواجهة اكثر دموية واكثر عنفا وحدة .

انه يعاني من شكل جديد من الاستعمار يتمثل في الظاهـــرة الصهيونية التي هي التجسيد العياني للاستعمار القديم ـ الجـديد المركب : الاستيلاء على الارض وابادة وتشريد السكان ، الاستمرار في التوسع ، السمسرة الدولية لصالح الامبرياليين ، التخريب المستمر في الدول النامية والاشتراكية على السواء ... الخ .. الخ ..

كما يعاني من ظاهرة اخرى عمل لها الامبرياليون وكرسوها لتسهل استغلالهم له : انها ظاهرة التجزئة القومية التي تبعثر قواه وتشتت امكانياته ، مما يجعل الوحدة القومية هدفا نضاليا حاسما ، لانـــه السبيل الوحيد للتكامل الاقتصادي الذي يمكن بواسطته اسقـــاط التخلف والتبعية من جهة ، وثوريا عادلا من جهة ثانية ، لانـه صراع قومية مضطهدة ضد قوميات اخرى شوفينية ومضطهدة .

ويترتب على هذه الظاهرة ، ظاهرة تخلق مشكلات كبرى للـدول العربية وتعيق نموها : انها ظاهرة التجمع لدرجة الانفجار السكـاني كما في مصر العربية ، وظاهرة التمدد لدرجة الخواء الجغرافي كمـا في كثير من الاقطار الاخرى ، ويمكن ان توجد الحلول المثاليـة لهذه الظاهرة في ظل دولة الوحدة العربية .

ولعلنا لن ننسى موضوع تشويه الثقافة الذي تمارسه اجهـــزة

اعلام الامبرياليين بغية خلق الشخصية المهزوزة الاستسلامية غير القادرة على الانعتاق والتحرر .

باختصار ، تشكل قضية الثورة العربية جزءا حاسما من الازمة الحضارية لعصر انهيار الامبريالية ، وكل تأخير في انتصار الثورة العربية هو تأخير لبناء العالم الجديد الحر العادل الاشتراكي . والصراع في هذا الجزء من العالم انما تقوده من الجانب الثوري طبقات الكادحين ، والمثقفون الثوريون .

وهذه الحقيقة ليست ناتج عملية فرز فكرية مجردة تعتبر معرفتها والاخذ بها مسألة ذاتية، وانما هي واقع اجتماعي يترك آثاره وارتكاساته على كل شيء وكل فعل ، ويصبح الاختيار نتيجة ذلك مصيريا وحاسما .

الا ان ما تجدر ملاحظته ايضا هو ان الفرد ليس مجرد متلق فقط لهذه الحقيقة الموضوعية . ان بينه وبينها علاقة حية تتمثل في محاولة التأثير والفعل من جانبه ايضا ، ولعل أهم ما يعانيه خلال ذلك هو احساسه المر بالاغتراب الدائم .

فكيف يمكن ان يكون هذا الاحساس في بلد متخلف كالوطن العربي ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تشكل مدخلا لفهم الفرد ، وخاصة الفرد المثقف ، وبالتالي يمكن ان تساعد على فهم انماط السلوك المختلفة وكيفية تعاملها مع الواقع وحدود ذلك .

ان اصطدام المرء بالاطار الحضاري العالمي الذي سبقت الاشارة اليه ، امر لا تتناسب معه امكانياته ، ولهذا فهو يعيش مسحوقا مستلبا معنويا كما هو مستلب اقتصاديا .

ان حدود الاستلاب المادي واضحة في طبيعة علاقات التبادل بين العالم المتقدم والآخر المتخلف ، وفي واقع الانتاج الاولي في العالم المتخلف والمرتبط اساسا بحاجة العالم المتقدم وارباحه ومطامعه ، وهذا بالطبع يترك أشد الآثار على حياة الافراد في البلدان المتخلفة ، اذ نجد ان امكانياتهم « النقدية » تتدهور باستمرار على سلم الوفاء بحاجات الحياة ومتطلباتها .

اما حدود الاستلاب المعنوي ، فهي ان هذا الفرد يجد نفسه بعيدا عن المشاركة الفعالة في الانتاج الراقي المتفوق ، وبالتالي في صنع الحضارة . انه سجين « عقدة النقص الحضارية » هذه ، والتي نجدها واضحة جدا لدى الشعوب المغلوبة عسكريا كشعبنا .

وهذه العقدة تدفع المرء الى البحث عما يمكن ان يكون تعويضا او بالاحرى حلا ، وهو بهذا البحث يمر في حالة اقرب الى الضياع والفوضى .

فما دام يعيش على هامش المرحلة الحضارية الراهنة فهو لم يبدع قيمه الخاصة المنسجمة مع العصر ، ولذلك يعمد اما الى ان يعيشه باسلوب مزور جاعلا من تقليعات المتقدمين مثلا اعلى له ، واما ان يرتد الى الماضي باحثا عما يمكن ان يشبع الحاجة النفسية المتولدة ويرضي طموحها .

وهو في الحالة الاولى يرفض التراث رفضا عشوائيا صبيانيا مغتربا في تقليعات الآخرين التي تصبح سجنا له . وهو في الحالة الثانية يصبح اسير الماضي لا يسمع الا صوته الخاص ويتقوقع داخله مبتعدا عن عصره معتبرا أي تقدم ردة وانحرافا عن الماضي المقدس الذي لا يجوز لاحد ان يلامسه باكثر من الاستسلام له .

ولكن المرء لا يستطيع ان يستمر بشكل مطلق لا في سجنه الاول ولا في استسلامه التاريخي الثاني ، انه مرغم بحكم اندفاع العصر وطبيعته ان يكتشف نقص الوسيلتين وبؤسهما معا .

وهذا الاكتشاف سيقوده الى البحث عن الحل الاسلم ... وما دام قد عرف كل شيء ، فعليه ان يلغي اسباب اغترابه الحضارية كي ينتصر .. وهنا حالة اغتراب ثالثة :

ان عليه ان يبني مع مجتمعه قاعدة الانتاجية العصرية ليستطيع ان يجابه الاستلاب المادي والمعنوي ، وهذه العملية ، عملية بناء القاعدة الانتاجية العصرية ، مرتبطة بأمور كثيرة اساسها وجود قوة الفعل في يد الطبقات التي تتضارب مصالحها مع العملية . وهو كفرد يحس بعجزه عن امتلاك قوة الفعل تلك ، ويصبح هذا الاحساس مصدر الشعور بالاغتراب عن النظام السياسي ، فالفرد العربي مثلا يغترب في التجزئة وأنظمتها حيث تشكل ازالتها محور التحدي الاساسي لبناء قاعدة الانتاج العصري . ثمة حالة اغتراب اخرى ، وهي وان كانت اسهل كشفا الا انها اساس في سلوك الفرد وفي استجابته ، انها اغترابه في العقلية الاجتماعية :

ان هذه العقلية قد تراكبت من « مفاهيم وآراء وقيم لمراحل تطور تاريخية ماضية زالت وزالت معها البنى الاجتماعية التي أعطتها معناها » ـ عن غرامشي ـ

وهنا نلاحظ التناقض بين العقلية الاجتماعية وبين مرحلتها التاريخية الراهنة ، ان الجماعة مشدودة الى الخلف طبقا لذلك ، وهي تجعل من مفاهيمها شيئا مقدسا لا تكاد تسمح بالمساس به .

والفرد الذي يريد كسب معركته الحضارية سيكون بالضرورة عامل دفع الى امام ، عامل تقدم ، بحيث يكون من هذه الزاوية على نقيض مع الجماعة .

ولما كانت الجماعة تملك ثقلا لا يملكه الفرد فانه سيحس بالاغتراب تجاه عقليتها التي لا تستطيع ان تستوعب افكاره وقيمه وتهيىء له المناخ لتنميتها . وقد يذوب الفرد ، وقد يحاول ازاء ذلك ان يؤكد على شخصيته ودوره وافكاره . وغالبا ما يلجأ الى اسلوب شاذ فوضوي للتعبير عنها .. انه يود ان يؤكد على وجوده المستقل بنوع من الدراما غالبا ما تتوج بمهزلة . وهذه ظاهرة عامة في السلوك تستحق ان تدرس مستقلة .

الفرد العربي اذن يعاني من الضياع ايضا ، ولكن ضياعه يأخذ طابعا مختلفا عما لدى الغربي المتخم بقيم عصر الآلة المتقدمة .

ربما استطيع ان اقول الآن انني قدمت تلخيصا مكثفا للهموم القومية والفردية ، واستطيع ان اعود بعد ذلك الى السؤال : كيف يمكن ان يكون الاديب معاصرا ؟ ان كلمة المعاصرة هنا لا تعني العيش في مرحلة زمنية بشكل مجرد ، انها تعني ببساطة استيعاب هموم المرحلة المعاشة : انسانيا وقوميا وفرديا ، والتعبير عنها بالاسلوب المناسب.. انها ليست ، اطلاقا ، ارتداء ثياب الآخرين ، وبالتالي ليست سرقة قيم الآخرين ومفاهيمهم واساليبهم الادبية والفكرية وحشرها في امكنة لم تخلق لها ، وليست محورة العالم على الذات والاستغراق في نرجسية تعطل الاتصال بين الاديب ومجتمعه .

ان ذلك لا يعني ابدا رفض الاستفادة من تجارب الشعوب في آدابها ، كما لا يعني رفض الذات واغفالها . انه يعني بتعبير اوضح ، اقامة علاقة جدلية بين المشاعر الذاتية والهموم الاجتماعية من جهة ، وبين الهموم القومية والهموم الانسانية من جهة اخرى .

باختصار ، المعاصرة ليست « موضة » . انها ابداع مستمر لقيم جديدة اصيلة دافعة لمسيرة التقدم الى امام ، وهو في نظري شرط المعاصرة وحدها . وطبيعي ان هذا يتناول الاشكال كما يتناول المضامين حيث لا تفريق بين علاقتهما الحية .

انني أؤكد على توظيف الادب ضد كل شكل من اشكال الجمود والتخلف ولصالح حركة البشرية الناهضة وفلسفتها المستقبلية ، دون ان اقصد بذلك اي نوع من « الجدانوفية » او التسطيح ..

وما دام الامر كذلك فأين هو محل التراث منا ؟ وكيف ينبغي أن نتعامل معه ؟

لقد سبق وأكدت انه لا يمكن ان يوجد الانسان الذي لا علاقة له قطعا بالماضي ، ان الانسان المعاصر موجود حقا في اللحظة الزمنية

الراهنة ، ولكنه يستعمل اساسا وباشكال مختلفة ، انجـــازات الماضي . صحيح ان معطياته تتراكم كميا في مراحل معينة اذا بلغت حدا معينا اصبحت نوعية جديدة وحـــدثت الثورات والقفـــزات الحضارية المختلفة ، ولكن هذه المعطيات لا تفقـــد كل ملامحها . ان الصيرورة الجدلية التي تنتظمهـا لا تحدث فجاة وتنقطع . انها مستمرة ومتلاحقة ابدا ودون توقف . وقد يكون هذا اظهر في المجال الاجتماعي وأقل وضوحا في الفكر ، الا ان الامر في الجوهر لا يختلف ، وعـدم الوضوح اصلا يعود الى طبيعة عمل الفكر لا الى الاختلاف في الصورة ، فليس الفكر في الواقع الا تعبيرا عن النشاط الاجتماعي سواء لحق به مفسرا اياه ، ام زامنه داعما له ، ام سبقه مبشرا به .

ان التراث اذن ، الذي هو حصيلـة الماضي ، موجـود فينـا ومستمر الوجود ، ولكن ليس بكل حيثياته وجزئياته .

والتراث الادبي ، الذي يعنينا هنا اكثر ، لـم يتكون ، علـى هذا ، بمعزل عن بقية اشكال التراث : انه مرتبط جدليا بالمراحـــل التاريخية المختلفة التي تكون من خلالها العقل العربي . والعقل العربي عقل حر في الاساس حتى سيطرت عليه الارستقراطية وسخرتـــه لمصالحها ، ومع ذلك فقد ظل هذا العقل ينتفض دائما محاولا ازاحة القيود التي فرضت على حريته ، معبرا عن حريته من خلال الحركات الشعبية الكثيرة التي قامت في الماضي ، والتي وان انحرفت غالبـا عن اهدافها الاساسية بتاثير عوامل مختلفة ، تبقى مبررة تاريخيا بقيد العبودية الذي فرض على مجمل الحياة العامة .

ان تاريخنا حافل باللحظات المضيئة التي نفخر بهـا ، ولكننـــا لا يمكن ان نتصور اننا نريدها الآن كما حدثت ، لانها حدثت في شروط تاريخية غير قابلة للاعادة ، وبمعنى اخر لا يمكننا ان ننسخها الآن كما وردت ، وانما يمكننا ان نسترشد بها في الحدود الملائمـــة للشروط التاريخية الراهنـــة .

ان هذا الكلام ، حتى لا يعتبر شوفينيا ، يحتـاج الـى دليل ، ولانه ليس لدينا مجال لتناول احداث تاريخية بالعرض والتحليـــل ، فساكتفي بعرض ملاحظات متواضعة حول قيام اكبر حدث في التاريـخ العربي له اثر بعيد في حياتنا الماضية والراهنة . انه قيام الاسلام . وساستعرض اولا شيئا من ملامح المرحلة التاريخية التي ظهر فيهـــا لنتمكن من توضيح دوره وأهميته :

١ ـ كان المجتمع العربي في الجزيرة مجتمعا قبليا يعتمد عـــلى الرعى كوسيلة للانتاج ، وذا خصائص تتسـم بانغـلاق القبيلـة تجـاه القبائل الاخرى وعدائها لها ، مقابل تعاون من الداخل . كما تتســم بتدرج رتبوي في القبيلة الواحدة قاعدته العبد وقمته الشيخ سيـد القبيلة . وكان المجتمع تبعا لذلك ممزقا بحروب طاحنة لا تكاد تهـدأ مما جعل القيم الفردية في السلوك هي السائدة . والفخر بذلك هـو منحى التفكير القبلي . وقد عبر الادب الجاهلي عن ذلك أسلم تعبير .

٢ ـ وفي اطار هذا المجتمع كانت ثمـــة مراكز تجارية مدينية ، تنمو على اطراف الجزيرة (مكة ـ الطائف ـ يثرب) وتعيش عـــلى التجارة مع مراكز الحضارات الزراعية القديمة في الشام واليمـــن والعراق والحبشة ، مما أدى الى نشوء ارستوقراطية مالية اصبحت ذات نفوذ كبير في حياة الجزيرة وولد نموها المالي حاجتها الـــى التنظيم في التشريع والتنفيذ ، وقد استمر الكثير من القيـم وجوانب العقلية القبلية في حياة هذا المركز ولكن بتطوير منسجم مع الظروف الاقتصادية الجديدة ، كما توضح الانقسام الطبقي وازدادت حدتـــه بازدياد عدد المساكين والعبيد والذين لا مال لهم .

٣ ـ الاطار العام لتلك المرحلة يمتاز بكونه فترة نهاية امبراطوريات العبيد (الرومية ـ الفارسية) بنمط انتاجها الزراعي الراكد . كمـا يتميز بالاضطراب والخلل اللذين اصابا الحياة العامة نتيجة اغتراب انهيار تلك الامبراطوريات التي ، رغم انها كانت تمر في حالة النزع ، كانت تضغط بثقلها العسكري على الجزيرة (فارس في الخليج العربي. بيزنطة في شمال الجزيرة . الحبشة في اليمن ...) مما ولد شعورا مبكرا بالقومية وحاجة لدولة مركزية قادرة على الردع .

٤ ـ وقد جاء الاسلام ليرد على هذا كله . فاذا استثنينا مجموعة العقائد والشعائر ودققنا في مجموعة المبادىء الناظمة لعلاقات المجتمع الجديد ، وهي صلب حركة الاسلام الثورية المتقدمة ، وذلك من خلال منظورها التاريخي ، لوجدناها تشمل التشريعات التي هدفت الـــى تحقيق ثورة ديمقراطية تحرر فئة المساكين والفقراء والعبيد . انهـا تطرح شعارات الثورة الفرنسية قبلها باكثر من الف عام (انما المؤمنون اخوة ـ واذا حكمتم بيـن الناس فاحكموا بالعدل ـ النـاس سواسيـة كأسنان المشط) ، ولائحة دقيقة ورائعة لحقوق الانسان . كما انها أوجدت شكل الحكم المناسب الذي عادت الثورة الفرنسية فاكتشفته (وأمرهم شورى بينهم) وأوجدت مدخلا لعدالة اجتماعية : كحـــق الفقراء في أموال الاغنياء ـ رفض الاستغلال والاحتكار والغش ـ محاربة الربا ـ الدعوة الى العمل وان ليس للانسان الا ما سعى ... ـ وشراكة الناس جميعا في بعض معادن الارض ... الخ .

ورغم انها نشرت الطهرانية مقابل الفساد الخلق المستشري ، الا انها دعت لتحرير المراة وقرنتها الى جانب الرجل في كل الامور تقريبا. ولم يعتبر الاسلام تنظيمه للمجتمع شيئا نهائيا بدليل فتح باب القياس والاجتهاد حيث كان يمكن تطوير تلك المبادىء الناظمة لعلاقات المجتمع وفقا للحاجات الجديدة لولا ان حدث تطور معكوس للتاريخ العربـــي سأوضحه فيما بعد .

٥ ـ ولقد استجاب الاسلام استجابة كاملة للحاجة القوميـــة الجديدة حيث عمد الى اقامة الدولة المركزية التي وضعت حـــدا للحروب الداخلية ووجهت القوى جميعا نحو الامبراطوريات المسيطرة على حواف الجزيرة .

وقد قضى الخليفة الاول اكثر فترة خلافتـه في اقرار تلك الدولة المركزية وتثبيتها .

٦ ـ ولقد تابع الخليفة الثاني عمر (رضي الله عنه) مهمـــة الاسلام الحضارية التي بدأت في عهد سلفه ، وهي اسقاط امبراطوريات العبيد ونشر تلك المبادىء السابقة التي من اجلها استقبلت الشعوب الاخرى العرب استقبال الراضي ، مما مكن لهم فتح رقعة كبيرة مـن العالم في برهة وجيزة ـ وهذا ما اشار اليه روجيه غارودي فـــي محاضرته الاخيرة في القاهرة .

٧ ـ ولعله ينبغي هنا التوقف امام نقطة خطيرة اقرها الخليفـة العظيم عمر الذي كان متشبعا بروح الاسلام مدركا لمهمته الحضاريـــة ادراكا عميقا ، هذه النقطة اشار اليها بروكلمان (في تاريخ الشعوب الاسلامية ص ١٥٠) ، حيث اعتبر عمر ان جماع الاراضي المفتوحـــة انما هو فيء للجماعة الاسلامية ، وبذلك حظر على الفرد المسـلم ان يستولي على شيء منها في المستقبل ، فاذا دخل احد الفلاحين مـن اهل الذمة في الاسلام ضمت ارضـــه الى ممتلكات الجماعة فـــي القريـــة » .

انني أترك تصور شكل الملكية التعاونية التي كان يمكن ان تنشأ

نتيجة تنظيم هذا التملك الجماعي للارض فيما لو استمرت هذه السنة التي استنها عمر العظيم ..

فاذا اخذنا بعين الاعتبار ان الارض كانت وسيلة الانتاج الاساسية في تلك المرحلة ادركنا الى أي حد تذهب عظمة هذه المبادرة التاريخية ومداليلها .

٨ ـ ولكن الارستوقراطية القبلية ، بالغائها هذه البادرة ، بدأت تتحول الى طبقة من ملاك الارض الجدد مكونة هرما اجتماعيا جديدا هدفه حماية مصلحة طبقة النبلاء الجديدة : « امراء ـ قواد ـ جيش ـ وزراء ـ نقباء ـ اشراف ... الخ » ، وبدأت المبادىء تتكيف وفقا لمصلحة هذه الطبقة التي اخذت تستغل بقية الفئات . تلك الفئات التي صارت واسعة جدا نظرا لاتساع الفتوح ، وهكذا اخذ تاريخ هذه المنطقة يسير في تطوره المعكوس الذي ألمحت اليه سابقا .

٩ ـ انني في هذه الملاحظات لا اقدم منهجا لتفسير تاريخنا وبالتالي لتقييم تراثنا ، كما لا احاول فلسفة الاسلام . لقد حللت ظاهرة نشوئه وبعض مبادئه بشكل مكثف وفي ضوء منظور تاريخي ، وذلك لأؤكد على امرين اعتبرهما هامين جدا :

الاول ـ ان اولئك المسلمين الاول بما حملوه من مبادىء اوجزت القليل منها ، قد هدموا امبراطوريات العبيد فاتحين امام البشرية فرصة كبرى للتقدم رغم ما تلا ذلك . وعلى هذا دلالة كافية على البعد الانساني للابداع الحضاري المتفوق الذي أهّل العرب للمساهمة بتطوير الانسانية .

وان العظمة التاريخية التي يجب علينا ان نحملها من هذا الحديث هو ان علينا ان نساهم من جديد في هدم امبراطوريات الاستعمار المعاصرة من خلال العمل على اقامة دولة الوحدة ذات المضمون الاشتراكي العادل . والالتزام بهذه الموضوعة يشكل مهمة اساسية للاديب وللادب ، اخلاقية بقدر ما هي مصيرية .

اما الامر الثاني : فهو ان تراثنا الادبي كان صورة صادقة عن المعطيات التاريخية المستجدة والعقلية الاجتماعية المتراكبة من جماع التأثيرات الناجمة عن تلك المعطيات وليس ينبغي لنا ان نفهم تراثنا الادبي الا في ضوء مراحل انجازه ، فلا نرفضه او نقبله الا بمقدار ما يسيء او يقدم من دفع لحركة التقدم . ولست أعني بقبوله ، اعادة نسخه وتوثينه ، فلا نخرج عنه في أدبنا الجديد ، وانما أعني بذلك فرز الاشعاعات المضيئة فيه واعتبارها وحدها الممثلة لروح شعبنا وأصالته في هذا الماضي .

أما الاساليب التي أدى بها هذا التراث الكبير فهي ليست الا قوالب فنية مرتبطة بتذوق الجمال في تلك المراحل ، وليس لنا ان نكون سجناء تلك المراحل وقيمها الجمالية . ان حياتنا قد تطورت ، وأذواقنا قد تغيرت تغيرا عميقا ، ومن الطبيعي ان تتبدل اساليبنا فتكون قادرة على اداء تصورنا الشمولي الثوري للعالم العادل الذي نحلم به ، وعلى نقل صورة تحركنا الملحمي العظيم نحو هذا العالم .

انني فيما أظن قدمت صورة بشكل ما لكيفية وجوب حضور التراث فينا ، وجليٌ انني لا ادعو الى عقد مصالحة معه بخيره وشره . انه لا ينبغي لنا الا ان نعريه ونفرزه اذا اردنا الخروج من أسر النظرة المتزمتة التي نعممها على كل همسة مرت في الماضي ، هذه النظرة التي لا ينتفع بها الا اعداؤنا واعداء الحياة الجديدة التي نحلم بها ونطمح اليها .

سوريا — **احمد يوسف داوود**

صدر حديثا

مشروع جديد لقانون الضريبة الموحدة على الدخل
الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري
نظرة ماركسية في تاريخ الفلسفة
من اوراق كامل الجادرجي
اخبار الدولةالعباسية وفيه اخبار العباس وولده
في الجبهة الوطنية الموحدة
كتابات مختارة
مختارات من الكتابات العسكرية
المقاومة الفلسطينية : الواقع والتوقعات

د. بشير داعوق
منير شفيق
ي. كليابيتش حنا عبود
كامل الجادرجي
تحقيق د. عبدالعزيز الدوري ود. عبدالجبارالمطلبي
جورجي ديمتروف
روزا لوكسمبورغ
ليون تروتسكي اكرم ديري ـ الهيثم الايوبي
(كتاب خاص صدر عن دراسات عربية) . اشترك في تحريره : حركةالتحرير الوطنيالفلسطيني (فتح) ، جبهة التحرير العربية ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، د. غسان عطية ، المقدم الهيثم الايوبي ، منير شفيق ، الياس مرقص ، كريم مروة .

منشورات دار الطليعة

ص.ب. ١٨١٣ ـ بيروت